الفصل الثانى

القوى المؤثرة فى النظم التعليمية

obeikandl.com

obeikandl.com

القوى المؤثرة فى النظم التعليمية

١ - تقديم :

لما كانت عملية اجتماعية فإنها تعكس فلسفة المجتمع وتاريخه ومدى نموه وتطوره وتعبر عن طموحاته وآماله . ومن هنا تختلف نظم التعليم فى المجتمعات كليا أو جزئيا باختلاف الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية . وكلما كانت هذه القوى متقاربة ظهرت نظم تعليمية متقاربة فى فلسفتها وأهدافها وأنماطها ، وكلما تباعدت هذه الظروف ظهرت أنماط تعليمية مختلفة وهكذا تؤثر هذه القوى تأثيرا مباشرا فى حركة النظم التعليمية وتطورها بصفة مستمرة.

وقد تنبه علماء التربية المقارنة إلى أهمية هذه القوى منذ مطلع القرن العشرين. فحاولوا دراستها وتحليلها وبيان أرتباطها وتأثيرها فى النظم التعليمية . ولقد بين لى فازيه Le Phasier عام الاخصاء الفرنسى أهمية العامل النفسى فى التعليم . وأوضح العلاقة بين كل من الطابع الدينى والسلالة من ناحية والتعليم الابتدائى من ناحية أخرى :

واهتم شنايدر F. Schneider أستاذ التربية المقارنة الالمانى بالعوامل التى أثرت فى نظريات التربية وتطبيقاتها كشخصية الأمة والموقع الجغرافى والثقافة والفلسفة والحياة الاقتصادية والسياسية والتاريخ والمؤثرات الأجنبية والتطور الطبيعى للممارسات التربوية .

أما كاندل فقد أكد أن القومية والايدلوجية والسياسة من خلال التطور التاريخى هى أهم محددات الشخصية وتطور النظم التعليمية .

أما مانز فقد حدد فى كتابه التراث التربوى Educational Traditions

خمسة عوامل تكون الأمة المثاليه وهي وحدة الجنس ، وحدة الدين ، وحدة اللغة ، تماسك الوطن والسيادة السياسية . ولكن قد ينقص أحد هذه العوامل دون أن يترتب على ذلك تهديد خطير لوحدة الثقافة القومية . فباجيكا مثلا تعوزها وحدة اللغة إذ أن بها لغتين قوميتين هما : الفلمنية والفرنسية ، ولكن على الرغم من هذه الصعوبة فإنها تعد أمة واحدة . وهولنده منقسمة دينيا كما أن جمهوريات أمريكا اللاتينية تضم سكانا من ثلاث أجناس متباينة . أما بولنده فقد ظلت طيلة قرن من الزمان محرومة من سلطانها السياسى . ومع ذلك فإن هذه البلاد جميعا أمم بكل ما فى هذه الكلمة من معنى . وفى أحوال معينة قد يغيب عاملان دون أن تعمل الانقسامات الناتجة على تفكك أواصر الأمة ، فسويسرا مثلا على الرغم من أن شعبها تقسمه كل من اللغة والدين ، إلا أنها لم تتحلل كأمة ، ولم يحل ذلك دون قيام الشعب السويسرى ، ولكن فى جنوب أفريقيا حيث تجرى الانقسامات الجنسية واللغوية والدينيه متوازية فإنه جدا أن يشكل البيض والسود أمة واحدة دون وقوع تغيرات أساسية فى تكتلاتهم الاجتماعية الراهنة . فالمواطنه المشتركة فى حد ذاتها دون التجانس الثقافى والتبادل الاجتماعى بين المجموعتين ، لا تكاد تؤثر فى النتيجة ، فتوفر أحد العوامل لايكون وحدة كافيا لقيام الأمة ، بل لابد من توافر أربعة عوامل على الأقل حتى يمكن خلق وحدة ثقافية اجتماعية للأمة تميزها بوضوح عن الأمم الأخرى . فشخصية الأمة بوجه عام هى نتيجة مركبة من أنماط سلالية وتركيبات لغوية وحركات دينية وظروف تاريخية وجغرافية . ومع ذلك فلا يمكن تشبيه هذه العوامل بشجرة متجانسة التركيب ، وإنما هى أقرب شبها ببناء معمارى تضيف إليه الأجيال المختلفة بعض التجديدات وبذلك فإن النظم التربوية تتأثر بهذه العوامل وتتصل بكل من الماضى والمستقبل .

وقد حدد مانز ثلاث مجموعات من العوامل لها تأثير كبير ودور واضح فى تحديد النظم التعليمية هى :

أ ـ العوامل الطبيعية : وتشمل عامل الجنس (Rece) والبيئة بمناخها واقتصادياتها .

ب ـ العوامل الاجتماعية : وتشمل الدين واللغة القومية والتركيب الاجتماعى والوظيفى .

جـ ـ الحركات العلمانية وتشمل المذهب الانسانى والاشتراكى والقومى .

هذا وتلعب الظروف الطبيعية دورا هاما فى تشكيل شخصية الأمة فما يتسم به البلد الساحلى أو القارى من جبال أو سهول شاسعة انما يضفى على سكانه ملامح خاصة بحيث نستطيع أن نميز بين البحارة وبين سكان الجبال وعلى النظم التربوية أن تكيف نفسها وفقا للظروف الطبيعية للمجتمع وهى مقيدة بالمواقف القائمة التى تعكس الحاضر الجغرافى .

والبيئة الاجتماعية كاللغة والدين تعتبر أقوى عامل فعال فى تشكيل شخصية الأمة وهى تعكس قليلا أو كثيرا أحداث الماضى التاريخية وتتقيد به .

أما الحركات العلمانية فإنها تهتم أكثر ما تهتم بتحسين الأحوال الاجتماعية للجماهير . ففى العصر الوسيط انتشر التعصب الدينى وفساد الحكم والجهل والخرافة على نطاق واسع وجثم على عقول الجماهير فى جميع الأقطار وحالت دون تقدم العلم . ولتحرير جمهور الشعب بدأت الحركة الانسانية (Humanism) على يد جماعات من العلماء والفلاسفة فى كثير من بلاد أوربا لاستنهاض الحضارة اليونانية والرومانية ونتيجة لدعوتهم القائمة على التسامح والعدل والاستنارة بدأ

عصر النهضة وتاريخ أوربا وإذا كانت الحركة الألمانية حركة تربوية أولا وقبـــل كل شيء فإنها الاشتراكية Socialism مذهب اقتصادى ظهر فى الغرب الصناعى احتجاجا على استغلال الطبقة الرأسمالية للجماهير الكادحة . وقد أثرت تأثيرا عميقا وجوهريا فى اصـــلاح النظم التربوية . أما الحركة العلمانية الثالثة ذات الدلالة العالمية فهى القومية Nationalism التى تعبر عن طابع أمة معينة . وقد تحولت إلى المجال العالمى عندما اتخذت نفس الملامح المتباينة التى لا يجمع بينها أى تشابه بالمرة .

ويؤكد مالينسون فكرة الطابع القومى أو الشخصية القومية National charauter وأثرها فى تشكيل الطابع القومى للتعليم . ويرى مالينسون أن شخصية الأمة أو نمطها القومى ، هو الذى يحـــدد أهدافها ويشكل مؤسساتها الثقافية والاجتماعية والسياسية . فمثلا هناك اتفاق على أن الهدف من التربية هو أعداد المواطن للحياة الديمقراطية . ولكن مفهوم الديمقراطية يختلف من بلد إلى بلد لأن كل دولة تفسره بما يساعدها على بناء نمطها القومى . ويحدد مالينسون أربعة مكونات الشخصية القومية هى الوراثة والبيئة والتراث الاجتماعى والتربيه . وهكذا يتضح مدى التشابه بين هانز ومالينسون . ويرى الأخير أنه من الممكن حدوث تغيير بطىء فى الطابع القومى نتيجة عدة عوامل أهمها :

١ - منافسة المجموعات الأكثر تقدمية ومن ثم الصراع من أجل البناء القومى

٢ - الاكتشافات العلمية .

٣ - تقديم معتقدات جديدة وتقبلها تدريجيا .

٤ - التربية بما لها من تأثير غير مباشر .

ومع ذلك فإن استخدام التربية فى محاولة لتغيير الاطار الثقافى القائم الذى

يخدم النظام التربوى محكوم عليه بالفشل مالم يكن هـــذا التغير بطيئا وتدريجيا ومتمشيا ومع النمط القومي .

أما لورايز فقد انتقد كثرة العناصر المكونة للطابع القومى وأشار إلى أمكانية تحديد مجموعة من التقاليد القومية النابعة من الاتجاه الفلسفى للشعب . وأوضح أن هناك أنماطا قومية فى الفلسفة مثـــل البراجماتية الأمريكية والمثالية والألمانية والعقلانية الفرنسية والتجريبية الانجليزية والمادية الجدلية السوفيتية . تؤثر تأثيرا كبيرا في تحديد النظم القومية للتعليم .

ويحدد بريداى الجغرافيا والسياسية كأهم عاملان فى تحديد النظم التربوية القومية وهذا يتمشى مع تعريفه للتربيـــة المقارنة الذى مؤداه أنها « الجغرافية السياسية للمدارس» والجغرافية هنا تؤخذ بمدلولها الواسع لتشمل البيئة الطبيعية ، والسياسية أيضا تدل على البيئة الاجتماعية .

وأدت هذه المحاولات من جانب علماء التربية المقارنة إلى تعميق فهمنا للقوى المختلفة التى تؤثر فى النظم التعليمية إلا أنه يلاحظ أن كل محاولة منها . قد تناولت هذه القوى من زاوية معينة فأبرزتها وركزت عليها . ومع ذلك فان هذه القوى ليست متباعدة أو منفصلة بعضها عن البعض الآخر وإنما هى متداخلة ومتكاملة وتؤثر كل منها فى الأخرى وتتأثر بها . وقد تكون هذه القوى أكثر تأثيرا فى نظم التعليم من غيرها . غير أن ازدياد أثر أحد هذه العوامل على نظام التعليم فى بلد ما لايعنى أن بقية القوى الأخرى . وهكذا تتداخل القوى ويصعب الفصل بينها . وتقسيمها هنا إنما يستهدف الشرح والتفسير للطابع العام الذى يغلب على كل قوة من هذه القوى ومدى تأثيرها فى النظم التعليمية وسوف نناقش هذه القوى من الزوايا التالية .

٢ — القوى الجغرافية :

تتضمن القوى الجغرافية البيئة الطبيعية بسماتها ومكوناتها التى تؤثر فى الانسان وتتأثر به . وتضم أيضا موقع الدولة ومناخها وإلى أى مدى يؤثر هذا المناخ والموقع فى الطبيعة البشرية . فمن المعروف أن بيئة الانسان الجغرافية تؤثر إلى حد كبير على طبيعة فكره وخياله كما تشكل جانبا كبيرا من خلقه وطباعه . وبالتالى تؤثر على علاقاته بغيره من المجموعة البشرية . وتؤثر القوى الجغرافية فى النظم التعليمية من ثلاث زوايا هى : المناخ وطبيعة البيئة ، ومصادر الثروة فيها .

ويحدد المناخ السن الملائم لبدء الالزام ، وموسم الأجازات الدراسية وشكل المبانى المدرسية وأسلوب العمارة ونوع مواد البناء والأثاث وطرق المواصلات المستخدمة فى نقل التلاميذ . ففى الجهات الشمالية ذات العواصف الثلجية مثل السويد والنرويج والدانمرك نجد أن برودة الجو تؤدى إلى تأخر بدء التعليم الالزامى إلى سن السابعة بينما يبدأ فى السادسة فى معظم البلاد المعتدلة والحارة . وفى السودان تبدأ الأجازات الصيفية فى أبريل وتنتهى فى يوليه وذلك لارتباط هذه الفترة بارتفاع درجة الحرارة وعدم سقوط الأمطار . بينما تبدأ هذه العطلة فى البرازيل فى ديسمبر وتنتهى فى فبراير وذلك لأنها شهور الصيف فى النصف الجنوبى من الكرة الأرضية . وتبدأ فى معظم الأقطار العربيـــة فى يوليه وتنتهى فى سبتمبر لارتباطها بشهور الصيف الشمالى . كذلك يؤثر المناخ فى شكل المبانى المدرسية وهندسة بنائها وماتحتاجه من تدفئة صناعية فى البلاد الباردة أو تبريد صناعى فى البلاد الحارة . ويذكر هانز أن بناء المدارس المكشوفة مستحيل فى البلاد الشمالية الباردة نظرا لشتائها القارس البرودة ، بينما نجد هذه المبانى شائع فى كثير من البلاد الحارة . وفى انجلترا أدت البرودة إلى توفير الملاعب الرياضية المقفولة .

وطبيعة البيئة تحدد محتويات البرامج الدراسية والمواد الدراسية وأنشاء معاهد تعليمية فريدة خاصه بهذه البيئة ، كما أنها تحدد شكل الادارة التعليمية . فالبيئة الساحلية أو الصناعية أو الزراعية تفرض ألوانا خاصة من النشاط الاقتصادى لذلك تختلف مناهج الدراسة فى هذه البيئة بقدر مايراد أن يخدم النظام التعليمى المجتمع الذى يوجد فيه وبقدر مايراد أرتباط مناهج التعليم بأوجه النشاط السائدة فى البيئة الجغرافية . وهكذا يرتبـــط الجانب البيئى بإنشاء المدارس والمعاهد التعليمية الصناعية أو الفنية والأبحاث العلمية والتطبيقية بخدمة البيئة ويعتبر هذا أحد أهداف النظام التعليمى الذى يرمى إلى تحقيق تنمية البيئة .

وقد فرض الوضع الجغرافى لاستراليا التى يتركز ٤٧٪ من سكانها فى ست مدن هى سيدنى وبرسبن وملبورن وأديليد وبيرث وهوبارد بينما ٥٣٪ من السكان يتفرقون فى بقية أجزاء استراليا الشاسعة أن تسير إدارة التعليم فيها مركزيا مخالفة بذلك التقاليد التاريخية للدولة التى تتحدث الانجليزية وذلك لكى تحقق تكافؤ الفرص التعليمية بين مختلف الجهات النائية . وأيضا فرضت الظروف الجغرافية نوعين من التعليم باستراليا أحدهما يسود بالمدن Urban Schools حيث المدارس الكبيرة المجهزة تجهيزا جيدا ، بينما تسود المدارس الريفية Rural Schools فى المقاطعات الريفية ـ حيث تبلغ الكثافة السكانية نسبة واحدة فى الميل المربع . وهى مدارس صغيرة ذات مدرس صغيرة ذات مدرس واحد وعدد تلاميذها يتراوح بين عشرة وأربعين تلميذا ولكى تحقق الدولة مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية فى أنحاء القارة الاسترالية لجأت إلى توفير العـــديد من الوسائل كنظام التعليم بالمراسلة ، وقوافل التعليم المتنقلة التى تضم المدرسين والموجهين وغيرهم من العاملين فى المجال التربوى وهكذا استطاعت استراليا باستخدام الادارة المركزية

التعليم أن تتغلب على الظروف الطبيعية وتقرب بين الخدمات التعليمية التى تقدم لابناء البلاد .

أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فقد أثرت القوى الجغرافية بصورة أخرى. فهناك تتعدد الولايات وتتباعد المسافات بينها . وأصبح لكل ولاية ظروفها وامكانياتها وتعدادها . وبالتالى يكون من الصعب قيام إدارة تعليمية مركزية واحدة تشرف على نواحى التعليم فى الولايات المتحدة الأمريكية . ومن ثم تركت الحكومة الفيدرالية مسئولية التعليم للولايات فكل ولاية تدير التعليم بها وتموله وترسم سياسته ومناهجه وتشرف عليه . وقد أثر ذلك تأثيرا كبيرا فى صعوبة تحقيق من التكافؤ الفرص فى التعليم الأمريكى . فنجد أن الولايات الغنية قادرة على تمويل برامجها التعليمية تمويلا كافيا ، بينما الولايات الفقيرة والمحدودة الدخل لاتستطيع أن تفى بمسئولياتها نحو تعليم ابنائها ولذلك تستعين بمعونات من الحكومة الفيدرالية . وهكذا نتج عن اختـــلاف طبيعية البيئة فى الولايات المتحدة نظام لامركزية إدارة التعليم وأوجد أنظمة تعليمية فى الولايات المتحدة الأمريكية بعدد ما فيها من ولايات . وأحيانا يختلف نمط التعليم فى الواحدة من جهة إلى اخرى . ويظهر الكثير من الانظمة التعليمية مثـــل نظام الأقسام الصغيرة (Distric System) ونظام المـــدن (Town-Ship System) ونظام المقاطعات (County system) .

وتحدد القوى الجغرافية مصادر الثروة إلى حد كبير . فخصوبة التربة ، واتساع الأرض ووفرة الماء وملاءمة المناخ كلها مسببات للانتاج الوفير ، والمناجم وما فيها من فحم أو حديد أو بترول وفوسفات ومنجنيز ونحاس وذهب وفضة وكوبالت ويورانيوم كلها مصادر ثروات وأساس قيام الصناعات .

وباختلاف الثروات يختلف الانفاق على التعليم . ويختلف تمويل التعليم من مجتمع إلى آخر . وتختلف مدة التعليم الالزامى التى تستطيع أن توفر الدولة لابنائها فالولايات المتحدة الأمريكية تصل بالتعليم الالزامى إلى سن الثامنة عشرة وتتصدر الدول المتقدمة فى توفير فرص التعليم العالى لأبنائها .

بينما توفر السويد والنرويج والدانمارك ٩ سنوات من التعليم الالزامى لأبنائها فى حين لاتتعدى فترة التعليم الالزامى ستة أعوام لدى الغالبية العظمى من الدول ، وهناك دول أخرى لاتقرر الزامية التعليم على الاطلاق .

٣ — القوى السكانية :

ويتضح تأثير التركيب السكانى من ناحيتين هما : التكوين العنصرى للسكان ، والانفجار السكانى وكلتا الناحيتين لهما تأثير كبير على النظم التعليمية ، واختلافها من مكان إلى آخر يؤدى إلى أختلاف طبيعة النظم التربوية .

٣ — ١ . التكوين العنصرى :

ويقصد به العنصر الجنسى أو السلالة Rece ويرتبط أرتباطا كبيرا بالناحية البيولوجية التى تؤدى ظهور جماعة سلالية متميزة سواء أكانت تمثل الجنس الأصلى أو كانت نتيجة أمتزاج عدة أجناس أصيلة أكتسبت دواما معينا فى خصائصها الأساسية . وبذلك لاترتبط اللغة بالجنس ، فالنرويجيون قد يتكلمون فى أمريكا الانجليزية أو يتكلمون الفرنسية فى هايتى أو البرتغالية فى البرازيل رغم أنهم جميعا لغات أوربية غير لغتهم الأصلية .

وتفيد الدراسات الانثروبولوجية أن المشكلات الجنسية سواء أكانت سياسية أم تربوية لاتوجد إلا فى البلاد التى تتضمن سكانا أصليين من شعب ملون ممن قهرهم الأوربيون وممن اديهم تقاليد قومية واغة وطنيةوثقافة وروثة . وبخاصة عندما

لايرغب ،أو لايستطيع هؤلاء السكان تشرب روح الثقافة الأوربية . وقد أثبتت الدراسات الانثروبولوجية أن الاختلاف الجنسي يكمن في اجانب الارادي الانفعالي Emotional Cognative من العقل أكثر منه في مجال الذكاء Intelligence . ويتوقف ظهور هذه المشكلات وتفاقمها على مدى تعصب الجنس الأبيض أزاء الملونين وعلى مدى تقبل الملونين لثقافة الجنس الأبيض .

والمشكلة العنصرية أو الجنسية مشكلة قديمة فعلى الرغم من أن فلاسفة الأغريق نادرا بضرورة تطبيق الديمقراطية في المجتمع الأثيني وعدم قصر التعليم على فئة معينة وجعله لجميع فئات الشعب ، إلا أن العبيد كانوا محرومين من شتى الحقوق التي يتمتع بها الأحرار . وكان الحر يتحرر من الواجبات الاقتصادية ويستخدم العبيد ليعنوا بشئونه الخاصة . وقد قسم أفلاطون المجتمع المثالي في المدينة الفاضلة الشعب الأغريقي إلى طبقات ثلاث الفلاسفة والأحرار والعبيد ولم يعتبر العبيد مواطنين وحرمهم من التعليم بالرغم من كثرة عددهم ، واعتبرهم غير جديرين بالتعليم لأنهم لايتساوون مع غـــيرهم ممن يعيشون معهم في دولة واحدة . والمشكلة الجنسية العنصرية لاتزال باقية حتى اليوم وتتمثل في أعنف صورة لها في الولايات المتحدة الأمريكية وجنوب أفريقيا وأسرائيل .

فني الولايات المتحدة يشكل الزنوج ١٠ ٪ من عدد السكان . ومشكلتهم تتخذ طابع هام وميز عنه في جنوب أفريقيا .. فهم أقلية وسط الغالبية العظمى من السكان البيض وهم لايمثلون مشكلة عنصرية بالمعنى البيولوجي ، بل يمثلون مشكلة اجتماعية فليس للزنوج في الولايات المتحدة خصائص ثقافية أو لغوية خاصة تميزهم عن غيرهم من الأمريكيين بل أن بعضهم أبيض البشرة مثل أي أمريكي غير زنجي . ومع ذلك الزنوج في أمريكا لايحظون بالمساواة في الحقـــوق والامتيازات

الاجتماعية . ولازال عدم تكافؤ الفرص - بسبب اللون - ظاهرة واضحة خاصة فى الولايات الجنوبية حيث يباح للامريكيين البيض ما لايباح للامريكيون السود. وكانت هذه التفرقة أمرا قانونيا يقره الدستور الأمريكى حتى قبيل مطلع القرن العشرين . فيرى الدستور المساواة والتفرقة Eqval hut Separate فى فرص التعليم . وفرضت المشكلة العنصرية فى وقت ما وجود نظامين من التعليم أحدهما للبيض والآخر للزنوج وبينما كان النظام الأول يحظى بإمكانيات كبيرة تجعل منه نظاما جديرا بالاحترام، فإن نظام التعليم للزنوج كان يتكون عادة من مدارس فقيرة فى مبناها ومعداتها وإمكانياتها ومدرسيها .

ويصف هانز مدارس السود بقوله « إنما هى أكواخ من الخشب ذات الفرض الواحد وهى عادة متهدمة ينقصها معظم أدوات ومعـــدات المدرسة الالزامية ، والحضور بها ليس إجباريا كما لاتراعى مؤهلات مدرسى السود بحزم ، ومرتباتهم أقل من متوسط مرتبات المدرسين البيض بكثير . وتدلنا الاحصاءات على عدم المساواة . فمثلا نجد القيد فى مدارس السود يمثل ٤٨ ٪ من مجموع السود فى سن التعليم عقارنا بـ ٩١ ٪ بالنسبة للبيض فى الـ ١٧ ولاية الجنوبية ومتوسط طول فترة الدراسة للسود ١٤٦ يوما بينما هى ١٦٧ يوما للبيض . والمدرس الأسود يدرس لـ ٤٣ تلميذا فى المتوسط بينما يدرس المدرس الأبيض لـ ٣٤ تلميذا فقط. وفى الوقت الذى وصل فيه مرتب المدرس الأسود ٤٥٠ دولار بلغ مرتب المدرس الأبيض ٩٠٧ دولار فى المتوسط وتزداد المشكلة فى المدارس الثانوية حيث يمثل القيد ١٩ ٪ من السكان السود و ٥٥ ٪ من السكان البيض .

وقد ترتب على ذلك انخفاض مستوى التعليم ونوعيته بالنسبة للسود مما كان له آثار اجتماعية خطيرة على فرص العمل وعلى الوضع الاجتماعى للزنوج . وقد

الدعوة بأن تكافؤ الفرص فى التعليم الاكاديمى هو الطريق الوحيد لاحراز المساواة الاجتماعية . ومنذ عام ١٩٦٠ تقدم تطبيق مبدأ عدم التفرقة بسرعة وبعدها أعلنت المحكمة العليا أن التفرقة الإجبارية لاتتفق مع تكافؤ الفرص . وأستجابت ولايات كثيرة لنداءات الحكومة الفيدرالية .

أما فى جنوب أفريقيا فتتعدد الأجناس وتتشابك العلاقات وتتنوع السلالات البشرية بين السكان الذين يشكلون أربع مجموعات لكل منها عاداتها وتقاليدها وثقافتها . وهذه المجموعات هى : مجموعة البانتو وهم غالبية السكان ومجموعة الملونين وهم خليط من أجناس متعددة ومجموعة الهنود وهى أقل السكان عددا ومجموعة الأوربيين ويمثلون نحو ثلث السكان . وتختلف المشكلة العنصرية فى جنوب أفريقيا عنها فى الولايات المتحدة الأمريكية إذ أن الزنوج هم الغالبية العظمى من الشعب ، والبيض هم الأقلية الحاكمة . ومعروف عالميا أن المجموعة الأوربية تمثل قمة التمييز العنصرى فهى تمارس أعنف وأحط الأساليب العنصرية فى تعايشها مع غير البيض من السكان كما فرضت الأرهاب والعمل على استمرار تخلف السكان السود واستغلال خبراتهم وحرمانهم من حقهم الطبيعى فى الحياة الحرة .

وتنعكس التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا بصورة واضحة فى نظام التعليم . ففى حين نجد أن الأوربيين نظاما تعليميا متقدما يقوم على أساس علمانى ، مجانى ، الحضـــور فيه اجبارى بين سن ٧ و ١٥ عاما ، فان نظام التعليم للزنوج يتميز بالانحطاط والدونية فى كل هذه الأمور فمبانى مدارسهم قديمة ، قليلة المصدات ، ولا يتعدى ما ينفق على التلميذ الزنجى ١/٤ ما ينفق على التلميذ الأبيض . وبينما يجد كل طفل أبيض مكانا فى المدرسة الابتدائية فان عدد الأطفال الزنوج الملتحقين بالمدارس لايزيد عن الربع . وبينما يجد الطفل الأوربى السلم التعليمى أمامه مفتوحا

حتى أعلى المراحـــل التعليمية لتكون له فى النهاية السيطرة والسيادة . فان الطفل الزنجى يجد أمامه الطريق مغلقا محدودا بعده للحياة الخاضعة الذليلة وبالاضافة إلى ذلك فان الخدمات التعليمية التى تقدم للملونين والآسيويين فى جميع النواحى تقل عن تلك التى تقـــدم للبيض . ويلعب القانون والرأى العام دورا هاما فى تثبيت هذه الانماط التربوية وهذا النظام يولد الكراهية والعداء لأبناء الجنس الآخـــر .

ولابد من انتصار الشعب الأفريقى الأسود مهما طال الزمن وبثورته يملك زمام نفسه ويحكم نفسه وتتعدل مسار الأمور .

وفى اسرائيل توجد تفرقة من نوع آخر . حيث تمارس لونا قاسيا من التفرقة العنصرية للفلسطينين أصحاب البلاد الحقيقيين وتتضح تلك العنصرية فى التعليم . فالطالب العربى يعيش داخل أسرائيل أزدواجية ثقافية تتمثل فى التناقض الواضح بين مايلزم به من أهداف وبين مايخطط له ومايدرسه من كتب مقررة سواء فى التعليم المبنى أو العام . ونجد أيضا أن نسبة المتعلمين بين الفلسطينين منخفضة بشكل ملحوظ وتأخذ الصورة فى التدهور كلما أرتفع السلم التعليمى . وتصل العنصرية بسلطات الحكم فى أسرائيل إلى فصل واستبعاد الكثير من المعلمين العرب المؤهلين دون ابداء الأسباب .

وهكذا يتضح من الأمثلة الثلاث السابقة الذكر أن هناك علاقة كبيرة بين مشكلة التفرقة العنصرية وبين نظام التعليم . وأنه كلما تفاقمت المشكلة كلما ظهرت أنظمة تعليمية مختلفة فى الوطن الواحد .

٣ ـ ٢ ـ الانفجار السكاني :

يشهد عصرنا الحالي انفجارا سكانيا لم تشهد له مثيلا من قبل لدرجة أنه أصبح أحدى السمات الثلاثة المميزة لهـــذا العصر الذي يسمى بعصر المتفجرات الثلاثة الانفجار السكاني الانفجار المعرفي ، والانفجار الامال والمطامح .

وليس الانفجار السكاني مشكلة تعليمية في حد ذاته مادامت معدلات التنمية التعليمية تتمشى معه بنفس السرعة . ولكن الانفجار السكاني يسود في المجتمعات النامية وهي التي تعجز مواردها الاقتصادية عن توفير الفرص التعليمية لابنائها بمعدل يتمشى مع معدل تزايد السكان . وخاصة وان مواردها محدودة ومتطلباتها ملحة في ميدان الصناعة والزراعة والصحة والخدمات الاجتماعية الأخرى .

ومن هنا تواجه هذه الدول باختبارات صعبه أقلها فقدان التوازن بين التنمية التعليمية والنمو السكاني . ومن ناحية أخرى تتضح معالم معينه للنظم التعليمية في البلاد التي تشهد نموا سكانيا متفجرا . فهناك انخفاض في معدلات القبول بالمراحل التعليمية المختلفة . وهناك ازدحام بالفصول وهناك اهتمام بالكم على حساب الكيف التعليمي ، وهناك جامعات الاعـــداد الكبيرة وهناك انتشار الأمية . وهكذا تختلف الأنظمة التعليمية في المجتمعات باختلاف معدل نمو سكانها فئات الأطفال والشباب .

القوى الاقتصادية :

الاقتصاد والتعليم بينهما علاقة متبادلة . إذ يتأثر كل منهما بالآخر إلى حد كبير . وأثبتت التجارب التي أجريت في هذا المجال أن التعليم هو السبيل إلى اعداد القوى البشريه المدربة واللازمة لتطوير الاقتصاد. وقد أدرك علماء الاقتصاد منذ وقت طويل أهمية تنمية الموارد البشرية فآدم سميث A. Smith يؤكد أهمية

التربية فى مواطن كثيرة من كتابة « ثروة الأمم » وأوضح أن القدرات المكتسبة والنافعة لدى سائر أعضاء المجتمع تعتبر ركنا أساسيا فى مفهوم رأس المال الثابت. فكما أن اكتساب القدرة أثناء التعليم والتدريب يكلف دائما نفقات حقيقية فإن هذه المواهب التى تعتبر جزءا من ثروة الفرد تشكل جزءا من ثرة المجتمع الذى ينتمى إليه .

ويؤكد الفريد مارشال A. Marshall أهمية التربية بوصفها استثمارا قوميا . ويرى أن أعلى أنواع رأس المال قيمة هو رأس المال الذى يستثمر فى الإنسان ، إذ عن طريق الانسان يكون تقدم الأمم . فالاقتصاد فى ذاته ذو قيمة محدودة أن لم يستغل فى سبيل التقدم . وإن العلم هو السبيل الأول لتحقيق التقدم . فهو الذى يحول الثروات نقدية وصناعية وزراعية ومعدنية من طريق القوى البشرية من مجرد كميات عينية إلى طاقات تكنولوجية متنوعة وتقدم ملموس .

وفى دراستهما الشهيرة للتعليم وأثره فى النمو الاقتصادى والتى يربطان فيهما بين التعليم والقوى البشرية والنمو الاقتصادى يقسم هاربسون ومايرز Harbison & Mayers بلاد العالم إلى أربع مستويات اقتصادية لها طابع تعليمى مميز وهى:

(أ) البلاد المتخلفة the Underdevloped Countries وهى أقل هذه البلاد مستوى فى الجوانب الثلاثة ، ومن أمثلتها اثيوبيا وأفغانستان والمملكة العربية السعودية والسودان وغيرها . فالتعليم فيها متخلف من حيث الكم والكيف ولا يسد حاجات البلاد من القوى البشرية . وقد تصل نسبة التلاميذ المقيدين بالمرحلة الابتدائية إلى من هم فى سن المرحلة إلى حد أقصاه ٤٠ ٪ ، وأدناه ٥ ٪ ، وامكانيات المدارس محدودة والوعى بالتعليم بين المواطنين ضعيف وظاهرة

التسرب منتشرة والفاقد فى التعليم كبير وأساليب التعليم الثانوى لايستوعب سوى ٢٧٫٢٪ ممن هم فى سن هذه المرحلة ، كما أن التعليم المهنى لايحقق أهدافه وأغلب دول هذه الفئة ليس به جامعات ، والقليل منها به معاهد عليا ولذلك يضطر الطلبة إلى استكمال دراستهم بالجامعات الأجنبية .

(ب) البلاد النامية جزئيا The Partiaally Developed Coutrias وهى البلاد التى بدأت طريق التقدم وقطعت فيه شوطا محدودا ومن أمثلتها ليبيا وتونس والعراق وباكستان ولبنان وغيرها . والتعليم فى هذه البلاد يتميز بالتطور السريع من حيث الكم ولذلك فإن هذه الزيادة فى اعداد المتعلمين تقوية الزيادة فى الدخل القومى ولذلك كانت زيادة على حسب الكيف ونوعية التعليم ، وإن كان الاهتمام موجها إلى التعليم الابتدائى إلا أن نسبة الفاقد والتسرب كبيرة ، وتعانى هذه البلاد من نقص فى المدرسين ، وانخفاض مستوى التعليم فى القرى . ولا تزيد نسبة المقيدين فى التعليم الثانوى عن ١٦ ٪ وتتنوع المدارس الثانوية إلى اكاديمية وفنية وإعداد معلمين ويوجد لدى بلاد هذه المستوى جامعات وإن كان اهتمامها موجها إلى التعليم النظرى . ونوعيـــة التعليم فى الجامعات منخفضة . وهناك محاولات لتعليم الكبار وإن كانت مظهرية .

(ج) البلاد شبه المتقدمة The Semi-Advanced Countries وهى البلاد التى قطعت فى طريق متقدم شوطا معقولا اكبر من الشوط الذى قطعته البلاد من المستوى الثانى ومن أمثلتها الهند ومصر ويوغوسلافيا وغيرها والتعليم الابتدائى فى هذه البلاد غالبا الزامى ومدته ست سنوات . وترتفع نسبة المقيدين لتصل إلى ٨٠٪ كما فى مصر ، ومشكلة التسرب موجودة ولكن بصورة أقـــل من بلاد المستويين الأول والثانى ، والتعليم الثانوى فى هذه البلاد متنوع ويميل إلى

الاكاديمى ويهدف إلى الاعداد للجامعات وفى بعض البلاد تنخفض نسبة المقيدين بالتعليم الثانوى ، كما تعانى بعض البلاد من نقص فى اعداد المدرسين . والتعليم الجامعى مرتفع والتوسع فى الكليات العملية ملحوظة وإن كانت كثافة الطلاب وقلة الاساتذة وفقر الامكانيات تؤثر على نوعية التعليم الجامعى .

(د) البلاد المتقدمة The Advanced Countries وهى البلاد التى قطعت شوطا كبيرا فى طريق التقدم ومن أمثلتها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وانجلترا والدانمرك وغيرها . ويرى هاربسون ومايرز أن بلاد هذا المستوى تتمتع بنظام اقتصادى صناعى متقدم فهى قادرة على التوصل إلى أعظم الاكتشافات العلمية والتكنولوجية والتنظيمية ولديها رصيدا كبيرا نسبيا من القوى البشرية المدربة والعالية الخـــبرة ولاسيما المهندسين والعلماء ومديرى الأعمال والاداريين . والتعليم يتميز بارتفاع نسبة المقيدين فى جميع مراحله . كما أن نسبة المقيدين فى الكليات العملية والفنية أعلى من نسبة المقيدين بالكليات النظرية وتأخذ بلاد هذا المستوى بالسلم الواحد فى المرحلة العامة والتعليم فيها الزامى بالمجان . ومستوى نسبة القيد فى التعليم الثانوى كبير جدا ونوعية التعليم مرتفعة والتعليم الجامعى متقدم تقدما كبيرا والاهتمام يوجه إلى البحث العلمى .

ونتيجة للاختلاف بين البلاد المتقدمة والبلاد غير المتقدمة يزيد دخل الفرد فى الولايات المتحدة الأمريكية على ستة أمثال متوسط دخل الفرد فى العالم . وفى أوربا الغربية يزيد على الضعف ، وفى الاتحاد السوفيتى يزيد مرة ونصف على دخل الفرد فى العالم ، ويبلغ دخل الفرد فى الولايات المتحدة الأمريكية نحو ٣٣ مثـــل دخله فى افريقيا ونحو ٢٧ مثل دخله فى آسيا ونحو ١٤ مثل دخله فى الشرق الأوسط .

وقد لفت نظر هاربيسون ومايرز ان البلاد التى لم تستطع تحقيق الالزام لاطفالها تهتم اهتماما خاصا بالتعليم الجامعى لالحاجة قومية ملحة إلى هذا النوع من التعليم ولكن لأن الجامعات عندها رمزا بالغ الأهمية للمكانة القومية واصبح تذكارى للثقافة المحلية .

وهكذا هناك ارتباط كبير بين البناء الاقتصادى للدولة وبين نظام التعليم ومحتوياته وهذه العلاقة رغم وجودها منذ أقدم العصور فهى أقوى وأوضح فى العصور الحديثة . وعندما يتحول البناء الاقتصادى من الزراعة إلى الصناعة كما حدث فى انجلترا بعد الثورة الصناعية أو فى الاتحاد السوفيتى عقب الثورة البلشفية فإن النظام التعليمى فى كل من البلدين قد استجاب لهذا التغير . وإن كانت سرعة الاستجابة فى الاتحاد السوفيتى نتيجة للتخطيط الشامل واضح ومدهش ويعبر هانز عن ذلك بقوله إن « مائة وخمسين سنة فى الاقتصاد وتاريخ التربية الانجليزية قد اختصرت فى الاتحاد السوفيتى إلى أقل من عشرين عاما وأنتجت تغيرا أكثر جذرية وسرعة فى التاريخ » .

وهناك ارتباط كبيرا ايضا بين النظرية الاقتصادية التى تسود مجتمع من المجتمعات وبين النظام التعليمى . وبذلك تختلف النظم التعليمية فى المجتمعات التى تتخذ النظرية الرأسمالية عنها فى المجتمعات التى تتخذ النظرية الاشتراكية .

٥ — القوى الاجتماعية :

تؤثر القوى الاجتماعية فى النظم التعليمية وتطورها . ومن هذه القوى سنناقش الدين واللغة والتركيب الاجتماعى للوقوف على مدى تأثر التعليمية بهذه العوامل .

٥ — ١ — الدين :

يؤثر العامل الدينى فى النظم التعليمية تأثيرا مباشرا ، وترى بعض المجتمعات فى الحفاظ على معتقداتها الدينية حفاظا على تراثها الثقافى ومن أجل هذا تضع نظامها التعليمى وفق أسس ومبادىء دينية معينة حيث تؤدى كل مرحلة تعليمية مهمة حتى اذا اتم الفتى والفتاة مراحله التعليمية يكون قد أتم منها تشرب قدر من الثقافة الدينية والثقافة الدنيوية تمكنانه من الاسهام فى بناء مجتمعه وتقدمه .

وإن كان الدين فى مفهومه لدى الناس يعنى الولاء والخضوع والطاعة فإن تأثيرها بالنسبة للجانب التربوى والتعليمى لايقل أهمية عن تأثيره فى حياتهم العامة .

وفى العصور القديمة لعب الدين دورا كبيرا فى حياة المصريين فسيطر رجال الدين على كثير من نواحى الحياة المصرية ونظموا للناس أمور دنياهم وربطوها بمصيرهم فى الآخرة . وكان الدين منطلقا يتخذون منه أساليب تربيتهم ونظمهم التعليمية . فكانت الأدعية والوصايا والحكم والكتابات والقصص والحساب والهندسة والفلك والطب كلها معارف مرتبطة بالطابع الدينى .

وفى العصور الأولى للمسيحية اهتمت التربية لدى الشعوب التى اعتنقها بالجانب الإخلاقى . واطلق على هذه المرحلة التهذيب المدرسى واعتبر رجل الدين هو المعلم حتى أن فكرة انشاء المدارس قد ارتبطت بالدين . ويصدق هذا القول على المسيحية والاسلام على السواء . فقد كانت قراءة الانجيل وقراءة القرآن الكريم ونشر التعاليم الدينية من أهم الدوافع لانشاء المدارس . بل أن المدارس نفسها اتخذت وسيلة للدعاية لمذاهب دينية معينة فانشاء الجامع الأزهر على سبيل المثال كان دعاية للمذهب الشيعى وكذلك انشاء المدرسة النظامية فى بغداد للدعاية للمذهب الاشعرى .

وفى العصور الوسطى عندما نظر رجال الكنيسة إلى المسيحية على أنها زهد وعزلة عن مناهج الحياة وحيل بين عقل الانسان والعالم المحيط به ورفضت الكنيسة دراسة العلوم المختلفة واقتصر التعليم على الدراسات الدينية وبعض العلوم المحدودة، وأدى ذلك إلى الثورة وقيام حركات الاصلاح الدينى والفكرى التى بدأها مارتن لوثر فى أوائل القرن السادس عشر .

وهكذا شهدت العلاقة بين الدولة والكنيسة فى الحضارة المسيحية صراعا طويلا ومريرا للسيطرة على جوانب الحياة الاجتماعية وتوجيهها ومن بينها التعليم وقبل الثورة الفرنسية مثلا ترك ملوك فرنسا للكنيسة احتكار التعليم وذلك لمساعدة الملوك فى المحافظة على أوضاعهم بتعليم التلاميذ الخضوع لما يسمى بالحق المقدس للملوك . وبقيام الثورة الفرنسية أصرت على أن يكون للدولة وحدها حق الاشراف على التعليم . ولعل استمرار الصراع بين الكنيسة والدولة للسيطرة على التعليم فى فرنسا كان سببا فى عرقلة الاصلاح التعليمى هناك .

وعلى الرغم من أن تطور العلاقة بين الدولة والدين فى المجتمع الاسلامى كان مختلفا عن الصراع بين الدولة والكنيسة فى المجتمع المسيحى إلا أن النتيجة كانت واحدة للتعليم فى الحالتين وهذه النتيجة هى وجود نظامين تعليميين مستقلين احدهما دينى والآخر مدنى ويصدق هذا على كل النظم التعليمية المعاصرة باستثناء دول الكتلة الاشتراكية حيث لايسمح فيها بالمدارس الدينية أو الخاصة على السواء . والأساس فى انشاء المدارس الدينية ديمقراطى يسمح لكل طائفة أو مجموعة دينية فى انشاء المدارس الخاصة بها . ولكن هناك حالات من التعصب يحرم فيها انشاء المدارس الدينية من جانب مجموعة دينية معينة كما فى أسبانيا والبرتغال التى تحرم انشاء مدارس دينية للبروتستانت .

والعامل الدينى قد يضع عديدا من المشاكل أمام نظام التعليم العام الذى بحكم طبيعته عام يفتح أبوابه لجميع أبناء الشعب بصرف النظر عن اللون أو الجنس أو الدين أو العقيدة . والمشكلة التى تواجه النظام التعليمى تتلخص فى هل يدخل التعليم الدينى فى برامج التعليم العام أولا ؟ وأخذت النظم المعاصرة أساليب مختلفة ازاء مواجهة هذه المشكلة .

بعض الدول اعتبرات التعليم الدينى ليس من مسئولية التعليم العام كما فى التعليم الأمريكى والفرنسى . فلا يدخل التعليم الدينى ضمن برامج الدراسية بالتعليم العام لاعتباره من مسئولية الكنائس والأسر ، يخصص التلاميذ بعض الوقت من الدراسة لممارسة الشعائر الدينية بالكنائس ، وفى عام ١٩٦٣ قررت المحكمة الفيدرالية بأمريكا عدم قانونية قراءة والنشاد صلوات الرب فى الفصول الدراسية .

وبعض الدول الأخرى وعلى رأسها انجلترا اتخذت موقفا وسطا بادخال مناهج الدين ضمن المناهج الدراسية ، وتبدأ الدراسة فى جميع المدارس كل صباح بالصلاة . ولارضاء الطوائف الدينية المختلفة يقوم باعداد منهج التربية الدينية لجنة مشتركة تضم الاطراف المعنية من ممثلين لوزارة التربية ، والهيئات الدينية والسلطات المحلية والآباء والمعلمين والروابط المهنية وهذا المنهج عام فى طبيعته ويؤكد القيم الخلقية والروحية العامة .

أما الدول التى تنص دساتيرها أو تشريعاتها على دين رسمى معين للدولة كما هو الحال فى معظم الدول العربية والاسلامية فإن التعليم العام يلتزم بتعليم الدين الرسمى للدولة ، مع الاعتراف بحقوق الاقليات أو المجموعات الدينية الأخرى فى تعليم ابنائها الدين الذى تريده . وتختلف الحصص المقررة لتدريس التربية الدينية من دولة إلى أخرى .

وقد يلعب العامل الديني دورا كبيرا في تحديد محتويات المنهج أو حذف موضوعات معينة منه . ففي بعض المدارس الخاصة في نظام التعليم الأمريكي لاتدرس نظرية النشوء والارتقاء وفي المدارس السعودية لاتدرس النظرية الماركسية .

٥ — ٢ . اللغة :

يقول الفيلسوف الألماني فيشته Fichte في كتابه « أحاديث إلى الأمة الألمانية » الذي نشر عام ١٨٠٧ « أن اللغة تكون الناس أكثر مما يكونها الناس » وذلك لأن اللغة أهم عامل في شخصية الأمة . فهي دعامة الثقافة ، ولكل مجتمع لغته القومية التي تتخذها للتعبير والاتصال ، ويتوارثها الأبناء عن الآباء . ويلعب التكوين اللغوي دورا هاما في تشكيل النظم التعليمية . وتوجد المشكلة اللغوية في الدول التي يتكلم سكانها أكثر من لغة .

ونشأت المشكلة اللغوية وتطورت باحتمال من الاحتمالات الثلاث الآتية : الأول هو الهجرة الجماعية الكبيرة من مكان آخر . ومع التفوق الثقافي للمجموعة الواحدة والتزاوج يحدث انصهار المجموعة الأصلية في الثقافة الجديدة على المدى الطويل وتكون المشكلة اللغوية مرحلية وتزول بالتدريج حتى تنقضي تماما . مثل ماحدث في الأمريكتين وأستراليا ونيوزيلنده والاحتمال الثاني : هو فرض اللغة بالقوة عن طريق سلطة أجنبية حاكمة مثل ماحدث من جانب الادارة الفرنسية والانجليزية في الجزائر والهند . فقد أهملت فرنسا اللغة العربية وفرضت اللغة الفرنسية وجعلتها لغة التعليم لجميع المواد الدراسية في جميع المدارس بدون أستثناء وأصدرت فرنسا لذلك الكثير من القرارات . ويتضح هدف فرنسا مما جاء في أحد تقاريرها الرسمية في هذا الشأن « أن آمالنا في الجزائر ان تصبح حقيقة ممتلكة فرنسية إذا عندما تصبح لغتنا لغة قومية فيها ، والعمل الجبار الذي يترتب علينا انجازه هو السعي وراء نشر اللغة

الفرنسية بين الأهالى بالتدريج إلى أن تقوم قيام اللغة العربية الدراجة بينهم الآن.

أما انجلترا فقد واجهت فى الهند أجناسا مختلفة من هندوس ومسلمين ومسيحيين وغيرهم يتكلمون مايقرب من ١٤ لغة رئيسية ومئات من اللهجات المحلية وكانت السياسة الانجليزية التى رسمها ماكولى Makoli ترمى إلى استخدام اللغة الانجليزية فى المدارس كلغة للتعليم ، وحاول كرومر أن يطبق سياسة ماكولى فى مصر ولكن قوبل بمعارضة كبيرة . وأن كانت اللغة الانجليزية لاتزال تستعمل بكثرة فى الكليات العملية بالرغم من أن قانون الجامعات المصرية ينص على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم بالمعاهد والجامعات .

والاحتمال الثالث هو وجود المشكلة اللغوية نتيجة للغزو أو الفتوحات الحربية مثل ماحدث فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الذى يتكون من عديد من القوميات . ويقوم حل المشكلة فى الاتحاد السوفيتى على مبدأ ثنائية اللغة بمعنى أن التعليم لغير الروسى (٢٥ ٪ من سكان الاتحاد) يتم بلغاتهم الأصلية وفى نفس الوقت تدرس اللغة الروسية كلغة ثانية منذ المراحل الأولى للتعليم . ومع تقدم الطفل فى الدراسة يزداد الوقت المخصص لتعلم اللغة الروسية حتى تصبح هى لغة التعليم الوحيدة المستخدمة فى التعليم الجامعى . ومبدأ ثنائية اللغة ينطبق أيضا على وضع العراق والسودان .

وتتخذ مشكلة اللغة بعدا آخر فى كندا وجنوب أفريقيا وبلجيكا وسويسرا حيث توجد مجموعتان لغويتان أو أكثر نتيجة لأسباب تاريخية وجغرافية خاصة دون أن تستوعب أحداهما الأخرى . فقد أعترف أتحاد كندا باللغة الفرنسية كلغة قومية ثانية بكندا منذ ١٨٦٧ ، بينما أعترفت مقاطعة كويبك بالانجليزية كلغة رسمية ثانية بالمقاطعة . ومع ذلك فان المقاطعات التسع الأخرى تعترف باللغة

الفرنسية كلغة ثانيـــة وتتمتع بنظام تعليمي انجليزي . ومنذ عام ١٩١٦ واللغة الانجليزية هي اللغة الوحيدة للتدريس في الولايات التسع واصبحت كوبيك هي الوحيدة التي بها نظام فرنسي . أما في اتحاد جنوب أفريقيا فمجموعة من السكان البيض يتكلمون اللغة الانجليزية والأخرى تتكلم اللغة الأفريكانية . وتسود اللغة الانجليزية في ولاية نااتال ، وتسود الأفريكانية ولاية أورانج الحرة وقد دافع البوير عن لغتهم ضد سيطرة اللغة الانجليزية عندما حاول الانجليز فرض لغتهم بالقوة وجعلها لغة وحيدة في البلاد ولكن باءت جهودهم بالفشل وأعلنت المساواة اللغوية منذ عام ١٩٣٤ وأصبح اتقان كلتا اللغتين شرطا للالتحاق بالخدمة المدنية أو النظام المدرسي .

أما سويسرا فلا يوجد بها لغة قومية واحدة معترف بها رسميا . فان ظروفها الجغرافية وموقعها فرض عليها أن تتكلم بثلاث لغات هي الفرنسية والألمانية والايطالية وتعيش اللغات الثلاث في تسامح ومساواة .

وفي بلجيكا توجد قوميتان حيث تتكلم القومية الاولى لغة تشبه اللغة الهولندية بينما تتكلم القومية الثانية اللهجة الفرنسية . وقد تم التوصل إلى اتفاق عام ١٩٣٠ أعلنت حكومة بلجيكا المستقلة بمقتضاه قبول الفلنكيين الكاثوليك اللغة الفرنسية بالمدارس كما يقبل الأحرار أن يكون التدريس بمدارسهم خاضعا للنظام الكاثوليكي. ولكن التوفيق لم يدم طويلا وشجع الاحتلال الألماني هذا الاختلاف . ولم يعد يوجد نظام مدرسي بلغتين إلا في بروكسل فقط واستفظت كل قوميـــة للان بلغتها الأصلية .

وتواجه الصيرو النرويج صعوبة لغوية مغايرة فالصيرلها لغة قومية مكتوبة ولكن تنطق بطريقتين أحداهما لاتفهم إلا في الشمال والأخرى لاتفهم إلا في

الجنوب أما الزوريج فان لها لغتين فرعيتين ومعترف بهما رسميا بفرعتا عن نفس الأصل ولكن يتحدث بأحـــد هذه اللغات أهل المدن ، ويتحدث بالأخرى أهل الريف .

وهكذا يتضح أن تأثير اللغة يرتبـــط ارتباطا وثيقا ومباشرا بالمشكلات التربوية إذ أنها تمثل البؤرة الأساسية لجميع الاصلاحات والخطط التربوية فى كثير من الأقطار .

٥ — ٣ . التركيب الاجتماعى :

تختلف النظم التربوية باختلاف علاقة الفرد بالمجتمع ، واختلاف المفاهيم والفلسفات التى تبلور هذه العلاقة وترسم إطارها . فلكل مجتمع طبيعة تركيبه العضوى الذى ترتبط فيه الجزئيات التى تبحث فى طبيعة المجتمع فى اتجاهين رئيسيين: احدهما يقوم على أن المجتمع غاية فى ذاته وأن الفرد وسيلة لتحقيق غايات المجتمع إذ لا وجود للفرد بل لاقيمة له بعيدا عن المجتمع . والاتجاه الآخر يقوم على أن الفرد غاية فى ذاته له شخصيته وكيانه والمجتمع يتكون من أفراد ومن ثم فان قيمة المجتمع مستمدة من قيمة أفراده ومدى مايتمتعون به من رعاية وحرية . وتتأثر النظم التربوية إلى حد كبير باختلاف الاتجاه الذى يؤمن به ويمارسه مجتمع من المجتمعات .

وينعكس التركيب الطبقى الاجتماعى على التعليم ونظمه وشكله ومدى مايوفره لأبناء المجتمع من فرص تعليمية فقديما احتكر النبلاء والبورجوازيون الفرص التعليمية واستخدموا التعليم لخـــدمة مصالحهم للوصول إلى كراسى الحكم وتسلم مقاليد الأمور . هذا وأن اختلفت حدة هذه الصورة إلا أنها موجودة فى المجتمعات الرأسمالية بدرجة أو بأخرى إذ توجد فى هذه المجتمعات مدارس عامة

ومدارس خاصة للطبقات الغنية ويعتبر النظام التعليمي الانجليزي من أوضح الأمثلة على ذلك لارتباط التعليم بالطبقة الاجتماعية ولاتزال المدارس الخاصة Puplic Schools تخدم المجتمع الارستقراطي الانجليزي .

ومع ذلك فان طبيعة التغير الاجتماعي سوف يقلل من سيطرة التمايز الطبقي باستمرار . فنمو القيم الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وظهور دولة الرفاهية قد خلق فرصا جديدة من التعليم للطبقات المحرومة . ونظراً لأن التعليم من أقوى أجهزة التغير الاجتماعي وأكثرها فعالية بما يحققه الأفراد من ترقي وتقدم في السلم الاجتماعي ، فان اتجاه النظم التعليمية سيتزايد باستمرار في وصف تعليم القاعدة الجماهيرية العريضة .

٦ — القوى السياسية :

وتتضمن النظرية السياسية التي يؤمن بها ويمارسها مجتمع ما ، ونظام الحكم السياسي فيه . والظروف التي يعيشها وما تمليه هـــذه الظروف من متطلبات ، وما يقف أمامه من تحديات وما يتعرض له من أحداث وما يتمتع به من استقرار داخلي وخارجي . وهكذا يتضح أن القوى السياسية تؤثر في النظم التعليمية من ناحيتين أولها النظرية السياسية أو ما نطلق عليه الايدولوجيـــة السياسية وهي الظروف السياسية الدائمة التي يعيشها المجتمع . أما الثانية فهي الظروف السياسية الراهنة أو الطارئة التي تفرض نفسها على المجتمع وتجبره على أن يتخلى عن سياسته التي يسير عليها .

٦ — ١ . الايدولوجية السياسية :

الايدولوجية من المفاهيم التى يفهمها البعض على أنها مذهب سياسى ويقصد بها الآخر مذهبا عقائديا . والواقع أن الايدولوجية عندما ظهرت فى القرن الثامن عشر فى فرنسا كانت تعنى علم الافكار (Idealogy) وحاول الفيلسوف دى تراسى De Traocy شرح علم الأفكار وأهميته ومغزاه لحياة الانسان ومجتمعه فى كتابه « عناصر الايدولوجية » . وقد أهتم دى تراسى بالقواعد الأساسية لتعليم الانسان وتعليمه .

وربما كانت الثورة الفرنسية من أهم العوامل التى ساعدت على الانتقال بالايدولوجية من ميدان التربية إلى ميدان السياسة : ولكن تصادم نابليون مع رجال الدين وتصادم رجال الدين مع العناصر العقلانيه أدى إلى اغتراب الايدولوجيين وانتشار المعنى السلبى الذى يدل على اغتراب النظرية عن التطبيق . ومع أن المفهوم الحديث للايدولوجية ليس مقصورا على دائرة السياسة وحدها فان الايدولوجية السياسية هى أول ما يتبادر إلى الذهن . ومع صعوبة وضع تعريف موحد للايدولوجية إلا أنه يمكن تعريفها بأنها مجموعة من الأفكار التى تضع الأساس لنظام سياسى واجتماعى واقتصادى معين . وبهذا يتضح صعوبة فصل النظرية السياسية عن النظرية الاقتصادية أو الاجتماعية أو التربوية .

وفى ضوء ذلك يمكن القول أن النظم التعليمية تتأثر تأثرا مباشرا بنمط الايدولوجية السائد . وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم النظم التعليمية المعاصرة بصفة عامة إلى مجموعتين كبيرتين هما : النظم التعليمية الشمولية والنظم التعليمية الديمقراطية .

٦ — ٢ . الظروف السياسية المؤقتة :

هي الظروف التي تؤدي إلى تخلي المجتمع عن نظريته السياسية مثل ظروف الحرب أو ظروف الاضطرابات والقلاقل أو ظروف الاحتلال وهي ظروف لها تأثير كبير على النظم التعليمية سواء فيما ينفق على التعليم . أو في تعطيله أو في فرض لغة ومناهج التعليم السائدة بالدول الغازية .

ويرى هانز صعوبة الدراسة المقارنة في مثل هذه الأحوال غير العادية فيقول « أما فترات الحرب وبناء الدولة فانها غير مناسبة للمقارنة بسبب الصروفات المرتفعة بطريقة غير عادية على مهمات الحرب والبناء » .

وفي هذه الظروف السياسية المؤقتة تضطر الدولة التي تتولى مقاليد الأمور بنفسها للتغلب على الظروف الطارئة . وقد يستدعي الأمر التقتير على التعليم باعتبار أن هناك أبعادا أخرى يجب أن تتجه إليها ميزانية الدولة كما تتدخل الدولة أحيانا في برامج التعليم وأحيانا توجه التعليم وجهة خاصة يتحقق بها ربط التعليم باحتياجات البلاد .

وبصفة عامة سواء أكانت الظروف والقوى السياسية دائمة أو مؤقتة تتضح فاعلية هذه القوى من حيث أثرها على النظم التربوية على مر العصور . فما حدث في اسبرطة وما حدث في ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية كان التعليم انعكاسا لسياسة هذه الدول . وكذلك أثناء قيام الثورة الصينية عام ١٩٤٩ التي نهضت بالبلاد نهضة شاملة سارت السياسة التعليمية جنبا إلى جنب مع الثورة السياسية الاجتماعية والاقتصادية وكذلك عملت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في المجتمع المصري على تخطيط النظام التعليمي بما يمكنها من الاستجابة لمطالب الشعب المصري ويحقق طموحه ويساير التقدم المعاصر .

والاستعمار الفرنسى للجزائر مثل واضح للظروف المؤقته : فقد حاولت فرنسا جعل الجزائر قطعة من فرنسا وكان تأثير هذه السياسة واضحا فى مناهج التعليم ونظمه وإدارته ولغته ولكن الجزائر بعد حصولها على استقلالها عام ١٩٦٢ بدأت حركة واسعة لتعريب التعليم ونشر اللغة العربية .

والتعليم فى شبه جزيرة سيناء أثناء الاحتلال الأسرائيلى منذ عام ١٩٦٧ حتى تحريرها فى عام ١٩٨٢ صورة أخرى للظروف السياسية الطارئة التى فرضت على الشعب المصرى فى سيناء مناهج وأهداف التعليم فى البلاد المحتلة .

obeikandl.com

obeikandl.com

نظام التعليم فى كندا

١ — تقديم :

كندا ثانى أكبر اقطار العالم وتشمل الجزء الشمالى من قارة أمريكا الشمالية ، وتمتد مسافة ٣٥٠٠ ميل مابين المحيطين الأطلنطى والهادى . وتبلغ مساحة كندا ٣٫٨ مليون ميل مربع أو مايعادل ١٠ مليون كيلو متر مربع (١٠ مرات مساحة جمهورية مصر العربية) . وتنعكس مساحتها الهائلة على كثافة السكان ، واختلاف المناخ ، والفارق الزمنى (٥ ساعة) بين شرقها وغربها . وكل ذلك ينعكس بدوره على تشكيل النظام التعليمى .

وقد بدأ اكتشاف كندا فى أواخر القرن الحادى عشر على يد ليف أركسون Ericss ، ولكن المحاولات الجدية للكشف أستأنفها كابوت Cabot فى عام ١٤٩٧ واستمرت على مدى ثلاثة قرون حتى قام الكسندر ماكينزى A.Mackenzies بعبورة القارة ووصل إلى شواطىء المحيط الهادى فى عام ١٧٩٣ .

وكندا غنية بمواردها الاقتصادية . فالحاجز الكندى العظيم بموارده المعدنية يضعها فى مقدمة دول العالم ذات الثروة المعدنية ، والبرارى التى تمتد الآف الأميال تجعل كندا « سلة خبز العالم » . وجبال روكى ووديانها مصدر آخر من مصادر ثروات كندا ، وبحيراتها وأنهارها وشلالاتها تمد كندا بالطاقة اللازمة لصناعتها المتطورة وتسهل المواصلات بين أطرافها المترامية ، ومع ذلك فان توزيع الثروة الاقتصادية ليس متعادلا فى جميع الجهات . فالمحافظات التى تطل على المحيط الأطلنطى فقيرة فى مواردها الطبيعية وهذا يجعلها تعانى اقتصاديا ، ويؤثر على الموارد المالية المتاحة لخدماتها التعليمية ، والمقاطعة الشمالية والشمالية الغربية تتعرضان للمناخ

القارس ـ البرودة مما يؤثر فى حجم سكانها (٢٢ر٠ ٪ من جملة سكان كندا) ويؤدى إلى تشتت مدارسها وقلة الاعداد المقيدة بها .

ويعكس التوزيع الديموجرافى للسكان فى كندا الكثير من التناقضات الأقليمية والتاريخية . ويتأثر ذلك التوزيع بعدة عوامل نذكر منها نمط الاستيطان ، ووفرة الموارد الاقتصادية ، وطول الفترة الزمنية للاستعمار السياسى ، ودرجة التحضر ، والملامح المتأرجحة للهجرة . فتضاعف السكان فى الفترة من ١٩٠١ إلى ١٩٣١ يعود إلى تزايد الهجرة ، وانخفاض السكان من الفترة من ١٩٣١ حتى ١٩٥١ يعود إلى النقص الكبير فى أعداد المهاجرين إلى كندا . ومع ازدياد الهجرة أرتفع عدد سكان كندا من ١٤ مليون نسمة عام ١٩٥١ إلى ٢٣ مليون نسمة فى عام ١٩٧٤ يمثلون ٣٥ جنسية مختلفة .

ويتركز نصف السكان فى حوالى ٢٠ مدينة رئيسية . بينما يستقر ٢٠ ٪ منهم فى المناطق الريفية . وأونتاريو Ontario هى أكثر المحافظات سكانا (٨ مليون نسمة) يليها كيوبك Quebec (٧ مليون نسمة) . وأقل المحافظات سكانا نيوفوندلاند Newfondland (½ مليون نسمة) .

وشهدت السنوات الأخيرة تغيرات كبيرة فى التركيب السكانى خاصة بعد تطبيق سياسية الهجرة التى تسمح للخبرات الفنية العالية الماهرة فقط بالدخول إلى كندا . ويتضح ذلك من دراسة الرقم التالى : على مدى عشر سنوات (١٩٤٦ - ١٩٥٥) هاجر إلى كندا ٥ر٤٤ ألف من الخبرات الفنية ، بينما أرتفع هذا العدد فى عام ١٩٦٧ وحده إلى ٥ر٣١ ألف مهاجر . وربما يعتقد البعض أن هجرة الخبراء من وإلى كندا ظاهرة صحية ، ولكنها فى الواقع تلقى عبئا كبيرا على النظام التعليمى الكندى . فاحدى الصعوبات تكمن فى مواجهة الأبعاد المختلفة للأمال